مجلة جامعة الملك سعود، م٤، الآداب (٢)، ص ص ٣٣٥-٣٦١ (١٤١٢هـ /١٩٩٢م).

موقف حازم القرطاجني من قضية الغموض في الشعر مقارنا بمواقف النقاد السابقين

محمد بن عبدالرحمن الهدلق

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤١١/٤/١٦هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٤١١/٨/٦هـ)

ملخص البحث. اهتم النقـاد العرب بقضية الغموض في الشعر فتناولوها بالبحث والدراسة منذ وقت مبكر. وقد اختلفت مواقف النقاد تجاه الغموض، فهناك من حَذَّرَ منه، وعَدَّه عيبًا من العيوب التي ينبغي التخلص منها، وهناك في المقابل من حَبَّذَه ورأى أنه ميزة من مميزات الشعر التي ينبغي الحرص عليها.

ومن بين النقاد الذين اهتموا كثيرًا بموضوع الغموض حازم القرطاجني، فقد خصص لهذا الموضوع فصلاً في كتابه *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. وقد ذكر أن الغموض ينشأ إما بسبب المعاني أنفسها، وإما بسبب الألفاظ والعبارات الدالة على المعاني، وإما بسبب المعاني والألفاظ على السواء.

وقد كان حازم من بين النقاد الذين لا يحبِّذون الغموض إلا في حالات قليلة جدًّا، ومن هذا المنطلق نراه يتطرق في دراسته إلى بيان الطرق التي يُتَوصل بها إلى إزالة الغموض من الكلام.

اهتم هذا البحث بإبراز آراء حازم في قضية الغموض، وقارن بين آرائه فيها وآراء النقاد السابقين له وذلك بهدف الكشف عن مدى إدراك حازم لجوهر هذه القضية من جهة، ومدى استفادته من آراء النقاد السابقين له من جهة أخرى.

اختلفت آراء النقاد حول الغموض[١] الذي تتصف به بعض الأعمال الأدبية هل يُعَدّ هذا الغموض مظهرًا من مظاهر الإبداع فيها؟ أم يُعَدّ مظهرًا من مظاهر العجز والتقصير؟

ومنذ أن بدأ التأليف في الموضوعات المتصلة بالإبداع الأدبي رأينا قضية الغموض والوضوح تظفر بنصيب طيب من العناية ابتداء من صحيفة بشر بن المعتمر وانتهاء بالدراسات الحديثة التي تتوالى في هذا العصر.[٢] فلقد تضمنت صحيفة بشر بن المعتمر

---

(١) قال ابن منظور في تفسير مادة «غمض»: إنَّ كلّ ما لم يتجه لك من الأمور فقد غمض عليك. والغامض من الكلام خلاف الواضح، ويقال: مسألة غامضة إذا كان فيها نَظرٌ ودقّة. ومعنى غامض أي لطيف. ويقال: غَمَضَ في الأرض يَغْمِضُ، ويَغمُضُ غموضًا إذا ذهب وغاب. انظر: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، *لسان العرب* (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.)؛ طبعة مصورة عن طبعة بولاق، مج ٩، ص ص ٦٣-٦٥.

أما البلاغيون والنقاد فَيَعنُون بالغموض أن يكون الكلام محتاجًا إلى جهد في استخراج معناه. وقد اختلفوا في تفسير ذلك، فمنهم من أطلق الغموض على كل مالم يتضح معناه سواء أكان ذلك ناتجًا عن كون الكلمة مشتركة بين أكثر من معنى، أو عن الغرابة، أو التعقيد، أو غير ذلك من الأسباب، ومنهم من لا يَعُدّ ذلك غموضًا ويسميه أسماء أخر، ويقصر الغموض على ما لم يتضح معناه من الكلام الذي توافرت فيه شروط الفصاحة والبلاغة كما سيتضح لنا في ثنايا هذا البحث. انظر: أحمد مطلوب، معجم *النقد العربي القديم* (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م)، مج٢، ص ص ١٥١-١٥٤.

وقد فرَّق عز الدين إسماعيل بين الإبهام والغموض مستعينًا في ذلك بما نسبه للناقد الإنجليزي ويليام امبسون، فذكر أن الإبهام «صفة نحوية بصفة أساسية، أي ترتبط بالنحو وتركيب الجملة، في حين أن الغموض صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية، أي قبل مرحلة الصياغة اللغوية النحوية.» انظر: عزالدين إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر*، ط٣ (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.)، ص١٨٩.

(٢) انظر صحيفة بشر بن المعتمر في *كتاب البيان والتبيين* لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ط٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٥م)، مج١، ص ص ١٣٥-١٣٩.

أما الدراسات الحديثة التي تناولت الغموض فهي كثيرة نذكر منها مايلي: شكري عياد، «الغموض في الشعر الحديث،» بحث منشور ضمن كتابه: *الأدب في عالم متغير* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م)، ص ص ٧٩-٨٨؛ عزالدين إسماعيل، «ظاهرة =

نصـائح قيمة لمن يريد أن يؤلف نثرًا أو يصوغ شعرًا، فقد حَثَّ بِشرٌ قارىء رسالته على الابتعاد عن التوعُّر، لأن التوعر يُسْلم إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك المعاني.(٣)

وقد تتابع النقاد والبلاغيون في إبداء آرائهم في هذه القضية، واختلفوا في تناولهم لها بين موجز في القول، ومُفَصّل، وبين مُحَبّذ للغموض، ومحذّر منه.

ونظرًا لأن حازمًا القرطاجني قد فَصَّلَ القول في هذه القضية تفصيلاً لا نجده عند غيره من النقاد، وأفرد لها فصلاً في كتابه *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*،(٤) رأينا أن نهتم بإبراز جهوده في دراسة هذه القضية، وأن نقارن بين رأيه فيها وآراء النقاد الذين سبقوه، وذلك

= الغموض،» بحث منشور ضمن كتابه: *الشعر العربي المعاصر*، ص ص ١٨٧-١٩٤؛ بدوي طبانة، «معاني الأدب بين الوضوح والغموض،» بحث منشور ضمن كتابه: *قضايا النقد الأدبي* (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ص ١١٧-١٤٢؛ علي أحمد سعيد، أدونيس، «الغموض والوضوح،» بحث منشور ضمن كتابه: *زمن الشعر*، ط٢ (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م)، ص ص ٢٧٥ - ٢٨٤؛ حلمي خليل، *العربية والغموض*، ط١ (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م)؛ خالد سليمان، *أنماط من الغموض في الشعر العربي الحر* (إربد: منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨٧م)؛ عبدالرحمن بن محمد القعود، *الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم*، ط١ (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)؛ صالح بن غرم الله الغامدي، «قضية الوضوح والغموض في الشعر العربي وموقف النقاد منها،» رسالة علمية، غير منشورة، مقدمة إلى قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الماجستير، ١٤٠٩هـ؛ محمد الهادي الطرابلسي، «من مظاهر الحداثة في الأدب. . الغموض في الشعر،» دراسة منشورة ضمن كتابه: *بحوث في النص الأدبي* (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨م)، ص ص ١٥٧-١٨٠؛ مسعد بن عيد العطوي، «الغموض في الشعر العربي،» *مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية*، مج٢ (محرم ١٤١٠هـ/ أغسطس ١٩٨٩م)، ص ص ٢٠٥-٢٤٩. ومن أشهر الدراسات التي تناولت الغموض باللغة الإنجليزية دراسة:

William Empson, *Seven Types of Ambiguity*, 3rd ed. (London: Chatto and Windus, 1977).

(٣) انظر: الجاحظ، *البيان والتبيين*، مج١، ص ١٣٦.

(٤) لقد تحدث عن ذلك في القسم الثاني من الكتاب: المنهج الرابع، المَعْرَف، ي، والمَعْلَم، يا، وكذلك في المَعْرَف، يب. انظر: حازم القرطاجني، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ص ص ١٧٢-١٩٦.

لمعرفة مدى إدراكه لجوهر هذه القضية من جهة، ومدى استفادته من آراء أولئك النقاد من جهة أخرى، لأنه من المتوقع أن يكون تأخر زمان حازم إلى القرن السابع الهجري قد هيأ له فرصة الاطلاع على أهم الأعمال النقدية التي تناولت قضية الغموض والوضوح.

يُقرر حازم في مطلع دراسته أن هناك ثلاثة أنواع من الدلالات: دلالة إيضاح، ودلالة إبهام، ودلالة إيضاح وإبهام معًا.(٥) وذلك أن حازمًا يرى أنه وإن كان أكثر مقاصد صناع الكلام هو الإبانة والإفصاح عن مقاصدهم، فإنهم في مواضع كثيرة قد يقصدون إلى إخفاء تلك المعاني، كما أنهم قد يقصدون إلى التعبير عنها بطريقتين: إحداهما واضحة الدلالة، والأخرى غير واضحة وذلك لغرض من الأغراض.(٦)

وفي الحالات التي يقصد فيها المنشيء إظهار معناه فإنه ينبغي له الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يحجب ذلك المعنى أو يحول دون وصوله إلى المتلقي بيسر وإسماح.

أما في الحالات التي يعمد فيها المنشيء إلى الإغماض، وهي حالات قليلة يحصرها حازم في الإلغاز، والتعمية، والكناية، وما جرى مجراها، فإن له أن يستر المعنى بالطريقة المناسبة للغرض الذي يقصد إليه. وإذا استبعدنا حالات الغموض هذه وهي حالات ينشأ فيها الغموض عن قصد المنشيء نفسه، لا عن خلل في عبارته، فإن ماعدا ذلك من الغموض يُعَدُّ عيبًا في نظر حازم ينبغي لمؤلف الكلام أن يحرص على تنقية كلامه منه.(٧)

وقد قسم حازم الغموض الذي يَعْرِضُ لمعاني الكلام إلى ثلاثة أقسام: غموض ناشيء عن المعاني أنفسها، وغموض ناشيء عن الألفاظ والعبارات الدالة على المعاني، وغموض ناشيء عن المعاني والألفاظ على السواء.(٨) وفيما يخص الغموض الذي ينشأ عن المعاني

---

(٥) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٢.
(٦) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٢.
(٧) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٢، ١٨٧.
(٨) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٢.

أنفسها، أرجع حازم ذلك إلى عدة أسباب من بينها:

١ ـ أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا يحتاج إلى تأمل وتدبر.

٢ ـ أن يكون المعنى مبنيًا على مقدمة يصعب الانتقال منها إلى ما بُنِيَ عليها من كلام لاحق.

٣ ـ أن يكون المعنى مُضمنًا معنى علميًّا، أو خبرًا تاريخيًّا، أو يكون متضمنًا إشارة إلى مثل، أو بيت شعر، أو كلام سابق، أو غير ذلك من أنواع التضمين.

٤ ـ أن يكون المعنى قد قصد به الدلالة على بعض لوازمه مما هو بعيد المعنى، كبعض أنواع الإرداف، أو الكناية، أو التلويح.

٥ ـ «أن يكون المعنى قد وُضِعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما يجب فتنكره الأفهام لذلك، فقد لا تفهمه على وجهه، وقد لا تهدى إلى فهمه بالجملة.»

٦ ـ أن يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى قابلاً لعدد من الاحتمالات والتفسيرات.

٧ ـ «أو يكون المعنى قد اقتصر في تعريف بعض أجزائه أو تخييلها على الإشارة إليه بأوصاف تشترك فيها معه أشياء غير أنها لا توجد مجتمعة إلا فيه. . . .[٩]»

أما فيما يتصل بالغموض الذي ينشأ عن الألفاظ والعبارات فإن حازما يذكر من أسباب ذلك مايلي:

١ ـ أن يكون اللفظ حُوشيًا، أو غريبًا، أو مشتركًا لم يُقْرَن بما يحدد معناه.

٢ ـ أن يقع في الكلام تقديم وتأخير.

٣ ـ أن يتخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبًا.

٤ ـ «أن يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها فصلٌ بقافية، أو سجع فتخفى جهة التطالب بين الكلامين.»

٥ ـ أن تُفرطَ العبارة في الطول فيضعف الترابط بين أجزائها، خصوصًا إذا تخللتها اعتراضات وفصول.

٦ ـ أن يكون الكلام مُفرط الإيجاز، سواء أكان بِقصَر أو حذف.[١٠]

---

(٩) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٢-١٧٣.

(١٠) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٣-١٧٤.

وأما ما يخص الغموض الذي يحدث بسبب المعنى نفسه، وبسبب العبارة عنه على السواء، فلم يُفرده حازم بالحديث، لأنه معروف ضمنًا، إذ المقصود به ما تضمن بعض العيوب التي تتصل بالمعنى، وبعض العيوب التي تتصل بالعبارة ممَّا جرت الإشارة إليه.

وبعد أن فرغ حازم من تعداد بعض الأسباب التي تؤدي إلى الغموض، سواء ما كان منها ناشئًا عن المعنى نفسه، أو عن العبارة عنه، شرع في إيضاح بعض الحيل التي من شأنها أن تُزيل ما يقع في المعاني من غموض.(١١) ولم يستقص حازم أنواع الحِيَل، وإنما أورد منها نماذج على جهة الإشارة والإيماء فقط.

ففيما يخص الغموض الناشيء عن المعنى ذاته اختار حازم أربعة من أسباب الغموض التي مرت بنا، ثم بَيَّنَ الطريق التي يتخلص بها من الغموض الذي أحدثته.(١٢)

والنوع الأول من أنواع الغموض الذي أورده في هذا الموطن هو: أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا يحتاج إلى تأمل وتدبر. ويرى حازم أنه يتعين على الشاعر أن يحرص على اختيار العبارة السهلة التي تؤدي المعنى بأيسر السبل، فإن بقي المعنى مع هذا غير واضح الدلالة فإن على الشاعر أن يقرن ذلك المعنى بما يناسبه، ويَقْرُبُ منه من المعاني الجَليّة، لكي تكون عونًا على فهمه، لأن بعض المعاني قد تكتسب الوضوح بما يجاورها من المعاني المشابهة لها. ويرى حازم أن الشاعر إذا أحسن اختيار العبارة الملائمة للمعنى المعبّر عنه، واستنفذ في ذلك جهده، ثم بقي المعنى مع ذلك غير واضح الدلالة، فإن الشاعر يكون بذلك قد أزال عن نفسه تبعة غموض المعنى، ووجب عذره في ذلك إذ ليس في طاقته أن يحول المعنى الغامض في نفسه إلى جلي.(١٣)

---

(١١) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٥، ١٧٧.

(١٢) يلاحظ هنا أن حازما قد أورد بعض أسباب الغموض التي مرت بنا في عبارات مختلفة عن العبارات التي أوردها بها سابقا بحيث بدت وكأنها أسباب جديدة لم يسبق ذكرها من قبل، كما يبدو في السببين الثاني والرابع. انظر: القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٧-١٧٩، وقارن بين ما ورد في هذه الصفحات وما ورد في الصفحات ١٧٢-١٧٣.

(١٣) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧-١٧٨.

والنوع الثاني من الغموض الذي أبان حازم عن كيفية إزالته هو ذلك الذي ينشأ عن «الإخلال ببعض أركان المعنى وترك الاستيفاء لها .»[١٤] ويقول حازم إن هذا الغموض ينشأ بسبب ذُهول الشاعر عن بعض أركان المعنى ، أو بسبب جهله بها، كما أنه قد ينشأ بسبب ضرورات الوزن والقافية . فإن كان الغموض ناشئًا عن ضرورة الشعر فإن ذلك مما يتصل بالعبارة ويتعين على الشاعر أن يزيل ذلك الغموض بأن يتصرف في فنون القول، فإن كان المجال قد ضاق عن استيفاء أجزاء المعنى في بيت واحد أورده في بيت ونصف، أو في بيتين . وإن تعذر عليه استقصاء المعنى بالجملة ترك ذلك المعنى كُلّية، فإن النقص الحاصل فيه يُعَدُّ قصورًا من جانب الشاعر يؤخذ عليه .[١٥]

والنوع الثالث من الغموض هو ذلك الذي يحدث بسبب كون المعنى مُرَتّبا على معنى آخر لا يمكن فهمه إلا به . والمعنى المرتّب عليه قد يكون واقعًا ضمن الكلام المذكور، وقد يكون خارجًا عنه، فإن كان واقعًا ضمن الكلام فيتعين على المنشيء أن يُحسن الربط بين المعنيين لكي تتضح الصلة بينهما، وأن لا يفصل بينهما بما هو أجنبي عنهما . وإن كان المعنى المبني عليه خارج الكلام فإنه يتعين على المنشيء أن لا يُحِيلَ إلا على معنى مشهور، وأن يجعل العبارة دالة عليه بشكل جلي .[١٦]

---

(١٤) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٨ .

(١٥) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٨ .

(١٦) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٨-١٧٩ . وقد ناقش حازم في فصل جاء بعد الفصل الذي خصصه لدراسة الغموض، موضوع استخدام بعض الشعراء مصطلحات بعض العلوم والصنائع، والعبارات الخاصة بأهلها . كما ناقش مسألة إحالة بعض الشعراء على بعض القصص والحكايات التي لا يتيسر فهمها إلا لمن كان له إلمام بالتاريخ والأخبار. ففيما يخص الموضوع الأول ذكر حازم أن تلك العلوم والصنائع، ومصطلحات أهلها، إن لم تكن داخلة ضمن موضوع الشعر فإنه لا يحسن إيراد شيء منها؛ أما إذا كان موضوع الشعر قائمًا على وصف أشياء علمية أو صناعية، فإن إيراد تلك المعاني والعبارات غير معيب .

أما فيما يتعلق بالإحالة على القصص والحكايات فإن حازما يستحسن ذلك إن كانت الإحالة على قصص مشهورة؛ أما إن كانت غير مشهورة فإنه يعيب ذلك . وقد حَدَّدَ حازم مقياس الشهرة الذي يرتضيه بقوله : «ويجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى =

والنـوع الـرابع «هو أن يكون المعنى منحرفًا بغرض الكلام عن مقصده الواضح معدولاً إليه عما هو أحق بالمحل منه حتى يوهم المعنى أن المقصود به ضد ما يدل عليه اللفظ المعبر به عنه.»(١٧) وقد ذكر حازم أن أكثر الناس يجعلون هذا النوع من الكلام مقلوبًا. وهناك فئة من الناس تتأول ما ورد من ذلك تأويلاً فيه سلامة من القلب، وهذه الفئة ترى أن التأويل وإن بَعُدَ أولى من حمل الكلام على القلب؛ لأن «العبارة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص، وترتيب مخصوص فإن بُدِّلَ ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة.»(١٨)

ويرى حازم أن الكلام الذي فيه غموض من هذا النوع يجب أن يوقف به عند السماع وأن لا يقاس عليه، لأنه إن كان الكلام مقلوبًا، وكانت العبارة مرادًا بها غير ما تدل عليه بوضعها، وَسَوَّغَ هذا عند مؤلف الكلام أن المقصد من الكلام واضح، فإن ذلك خطأ في العبارة، وسلوك لمذهب فاسد من التعبير ينبغي اجتنابه.

وإن كان الكلام غير مقلوب، وَقُصِدَ به معنى آخر غير المعنى الذي يفهم منه لو كان مقلوبًا، فإن هذا أيضًا غير سليم، لأن مؤلف الكلام يكون قد وضع المعنى البعيد الذي لم يُؤْلَف موضع المعنى القريب المألوف، وفي هذا خروج بالكلام عن الطريق الذي يكون للمعنى فيه موقع من النفس، ومكانة من الفهم، فيجب اجتنابه كذلك.(١٩)

هذا هو مجمل ما أورده حازم فيما يتصل بإزالة الغموض الذي يلحق الكلام من جراء المعنى نفسه.

= الذي يناسب بينه وبينه، ويعلقه على طريق التشبيه، أو التنظير، أو المثل أو غير ذلك.» انظر: القـرطـاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٨٨-١٨٩. وقد أوضح حازم أن الإحالة على القصص المشهورة إذا وقعت في الموقع اللائق بها تكون في غاية الجمال. انظر: القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٩٠.

(١٧) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٩.

(١٨) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٩.

(١٩) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٩.

أما فيما يتعلق بإزالة الغموض الذي ينشأ عن الألفاظ والعبارات فإن حازمًا يختار ثلاثة من أسباب الغموض التي مَرَّت بنا ثم يبين الطريقة التي بها يتمكّن من إزالة الغموض الذي ينشأ عنها وذلك كما يلي :

١ ـ إذا كان الغموض الذي لحق الكلام ناتجًا عن كون اللفظ حوشيًّا أو غريبًا فإن على الشاعر أن يزيل من كلامه ما كان موغلاً في الحوشية والغرابة . وإنْ اضطره تأليف الكلام إلى الإتيان بشيء من ذلك وأمكنه أن يَقرِنَ تلك اللفظة الحوشية أو الغريبة بما يوضح معناها ، من غير أن يكون ذلك حشوًا لا فائدة منه ، فإن ذلك أصلح لكلامه . (٢٠)

٢ ـ وإذا كان الغموض ناشئًا عن كون اللفظة أو الألفاظ مشتركة بين معنيين أو أكثر فإنه يتعين على الشاعر ، في المواطن التي يهدف فيها إلى الإبانة أو الإيضاح ، أن يَقْرِنَ اللفظة أو الألفاظ بما يُحَدد معناها الذي يريده .

وفي هذا الموطن نجد حازما — على غير عادته — يورد أمثلة لما يريد إيضاحه . فقد أورد مثالين لِلَّبس الناشيء عن كون الكلمة مشتركة ، أو بمنزلة المشتركة ، فمثال المشتركة قول الحارث بن حِلِّزة : «زعموا أن كل من ضرب العير موال لنا وأنَّا الولاء . »(٢١)

زعموا أن كل من ضرب العَيْـ ـر مَوَالٍ لنا وأنا الولاء(٢١)

فقد اختلف في المراد «بالعير» هل هو الوتد؟ ويكون المراد «بالضاربين» العرب ، لأنهم أصحاب خيام وعَمَدْ ، أم المراد «بالعير» عير العين ، وهو ما نتأ منها ، أي كل من ضرب عَيْرَ عينه بجفنه . وقد قيل إن «العير» هو ما يطفو على الحوض من الأقذاء ، وقد قيل غير ذلك . (٢٢)

ومثال ما هو بمنزلة المشترك قول امرىء القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة لفتك لأمين على نابل

---

(٢٠) القرطاجني ، *منهاج البلغاء* ، ص ص ١٨٤ـ١٨٥ .
(٢١) القرطاجني ، *منهاج البلغاء* ، ص ١٨٥ .
(٢٢) القرطاجني ، *منهاج البلغاء* ، ص ١٨٥ .

فقد اختُلِفَ في الكاف في «لفتك» هل هي ضمير «مُضاف» إليها ما قبلها؟، أم أنها حرف جار لما بعدها.(٢٣)

ويَحُثُّ حازم مؤلف الكلام، الذي يقصد إلى البيان، على الابتعاد عن إيراد مثل ذلك الحرف فإنه مَجْلَبَة للإبهام.(٢٤)

٣ ـ وإذا كان الغموض ناشئا عن خلل لحِقَ الكلام من جراء تقديم وتأخير شديدين تتداخل بسببهما الألفاظ، ويصعب فهم المراد منها، كما يبدو ذلك في قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلاَّ مُمَلَّكا أبو أمه حَيٌّ أبوه يقاربه

فقد ذكر حازم أن الفرزدق يريد أن يقول: «وما مثله في الناس حَيٌّ يقاربه إلا مملكًا أبو أمه أبوه، يعني بالمُمَلَّك هشامًا والممدوح خاله، فأبوه أبو أمه، . . . فأساء العبارة عما أراد.»(٢٥)

ولم يَصِف لنا حازم الطريقة التي يتعين على الشاعر اتباعها من أجل تخليص شعره من مثل هذا الغموض بل اكتفى بوصفه قائلاً: «وهذا المذهب رديء جدًّا في الكلام.»(٢٦) فرأيه مفهوم ضمنًا وهو أنه يتعين على الشاعر اجتناب مثل هذا النوع من التأليف بكل وسيلة.

هذا هو مجمل ما أورده حازم عن الغموض، وهو يدل — بلا ريب — على مدى الجهد الذي بذله في تتبع هذا الموضوع وفي محاولة وضع الحلول التي من شأنها أن تزيله.

ودراسة حازم لموضوع الغموض هي — فيما نعلم — أوسع الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في نقدنا القديم، وفيها يظهر تأثر حازم الواضح بآراء ابن سنان الخفاجي

---

(٢٣) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٤، ١٨٦؛ وانظر: علي بن عبدالعزيز الجرجاني، *الوساطة بين المتنبي وخصومه*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦م)، ص ٤١٨.

(٢٤) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٨٧.

(٢٥) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٨٧.

(٢٦) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٨٧.

(ت ٤٦٦هـ)، فقد كان ابن سنان الخفاجي من أبرز دعاة الوضوح في الشعر والنثر إذ نَصَّ على أن من شروط الفصاحة والبلاغة «أن يكون معنى الكلام واضحًا ظاهرًا جليًا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه، وتأمل فهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظومًا أو منثورًا.»(٢٧)

وقد قال ابن سنان هذا القول لأنه يرى أن «الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني، ولا مُوضّحة لها، فقد رفض الغَرَض في أصل الكلام، وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفًا للقطع ويجعل حَدَّه كليلاً، ويعمل وعاء لماء يريد أن يُحرزه فيقصد إلى أن يجعل فيه خروقًا تذهب ما يوعى فيه فإن هذا مما لا يعتمده عاقل، ثم لا يخلو أن يكون المُعَبّر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه.»(٢٨)

وقد حصر ابن سنان الخفاجي الأسباب التي من أجلها يغمض الكلام في ستة أقسام: اثنان منها يختصان باللفظ المفرد، واثنان يختصان بالألفاظ المركبة، واثنان يختصان بالمعنى. فأما اللذان يختصان باللفظ المفرد فهما:

١ ـ أن تكون الكلمة غريبة.

٢ ـ أن تكون الكلمة من الأسماء المشتركة كالصَّدَى الذي يدل على العطش، والطائر، والصوت الحادث في بعض الأجسام.(٢٩)

وأما اللذان يختصان بالألفاظ المركبة فهما:

١ ـ شِدَّة الإيجاز كما في بعض الكلام المنسوب إلى بقراط في علم الطب.

---

(٢٧) عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي، *سر الفصاحة*، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي (القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص ٢١٢.

(٢٨) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٢.

(٢٩) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٣.

٢ ـ انغلاق النظم «كأبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي وغيره، وكما يُرْوى من كلام أرسطوطاليس في المنطق.»(٣٠)

وأما اللذان يختصان بالمعنى نفسه فهما:

١ ـ أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا.

٢ ـ أن يحتاج في فهم المعنى إلى مقدمات إذا تُصُوِّرت بُنِيَ ذلك المعنى عليها، فإن لم تكن تلك المقدمات مفهومة للمخاطب تعذر عليه فهم المعنى.(٣١)

وواضح كل الوضوح أن هذه الأقسام الستة هي التي أقام عليها حازم دراسته.

ولقد أشار ابن سنان إشارات سريعة إلى بعض الطرق التي يمكن بها إزالة ما يلحق الكلام من غموض. وقد فتحت تلك الإشارات الباب لحازم القرطاجني لكي يقف عندها الوقفة التي رأيناها، فقد قال ابن سنان في معرض كلامه عن اللفظ المشترك الذي يؤدي إلى الغموض مايلي: «فأما استعمال الألفاظ المشتركة كالصَّدَى فإنه يحسن في فصيح الكلام إذا كان في اللفظ دليل على المقصود مثل قول أبي الطيِّب:

ودع كُلَّ صوت غير صوتي فإنـني أنا الطائر المَحْكِي والآخر الصَّدَى

. . . فأما إن كان ذلك في موضع يُشْكِل فليس ذلك بموافق للفصاحة.»(٣٢) وقد مَرَّ بنا أن حازمـا ذكر من بين طرق الحيل في إزالة الغموض أن يقرن بالأمر الغامض ما يزيل عنه الغموض والاشتكال.(٣٣)

وقـال ابن سنان في معرض حديثه عن سببي الغموض الناشئين عن المعنى نفسه وهما: دقة المعنى في نفسه، وحاجته إلى الإحاطة بأصلٍ قد بنى عليه إنه ليس باستطاعة مؤلف الكلام أن يُحَوِّل المعنى الدقيق إلى واضح وضوحًا تامًا ولكن يتعين عليه «أن يحسن

(٣٠) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٣.
(٣١) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٣.
(٣٢) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ص ٢١٣ ـ ٢١٤.
(٣٣) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٥، ١٧٦.

العبـارة عنه، ويبالغ في إيضاح الدلالة ليكون ما في المعنى من الدقة واللطافة بإزاء مافي العبارة عنه من الظهور والفصاحة، وكذلك يحتاج السامع إلى إحكام الأصل قبل أن يَقصد إلى فهم الفرع، ويحتاج المخاطب إلى ذكر المقدمات إذا كان غرضه أن يفهم المخاطب كلامه . »(٣٤)

فجاء حازم القرطاجني وذكر في موضوع إزالة الغموض الناشيء عن كون المعنى في نفسه دقيقًا لطيفًا يحتاج إلى تأمل وفهم أنه يجب «فيما كان بهذه الصفة أن يجهد في تسهيل العبارة المؤدية عن المعنى، وبسطها حتى يقابل خفاؤه بوضوحها، وغموضه ببيانها حتى تبلغ الغاية المستطاعة في ذلك. فإذا اجتهد الشاعر في توفية العبارة حقها من البيان، وقَصَدَ بها الإيضاح غاية ما يستطيع فقد أزال عن نفسه اللوم في ذلك ونفى عنها التقصير، ووجب عُذره في خفاء المعنى إذ لا يمكن أن يصيره في نفسه جليًا . »(٣٥)

وقـد سبق أن أشرنـا إلى أن حازمـا يستحسن الغمـوض في الكنـاية، والإلغـاز، والتعمية،(٣٦) ولعله في هذا القول كان متأثرًا أيضًا بابن سنان الخفاجي الذي قال في إجابته عن سؤال افترضه: «فإن قيل: فما تقولون في الكلام الذي وُضِعَ لغزا وقُصِد ذلك فيه؟ قيل: إن الموضوع على وجه الإلغاز قد قَصَدَ قائله إغماضَ المعنى وإخفاءه، وجعل ذلك فنا من الفنون التي يستخرج بها أفهام الناس، وتمتحن أذهانهم، فلما كان وضعه على خلاف وضع الكلام في الأصل كان القول فيه مخالفًا لقولنا في فصيح الكلام، حتى صار يحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض، أو ما جرى مجرى ذلك . »(٣٧)

ولم يكن القرطاجني، وابن سنان الخفاجي الناقدين الوحيدين اللذين أشادا بالوضوح وحذرا من الغموض، بل إن هناك نقادًا آخرين رأوا الرأي نفسه. فالآمدي (ت ٣٧٠هـ)

(٣٤) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٤ .
(٣٥) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٧-١٧٨ .
(٣٦) انظر: القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ١٧٢، ١٨٧ .
(٣٧) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٧ .

نعى علي أبي تمام تعقيد شعره، وغموض معانيه، وهو يرى أن أفضل الشعر ما كان قريب المعنى بعيدًا من التكلف.[٣٨] وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) يرى أنه لا خير في المعنى الغريب «إلا إذا شَرُفَ لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد.»[٣٩] وقد أزرى أبو هلال العسكري على بعض متأدبي عصره ممن كانوا «يستجيدون الكلام إذا لم يستطيعوا الوصول إلى معناه إلا بكدّ الذهن، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسًا عذبًا وسهلاً حلوًا.»[٤٠] وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ينصحُ الشاعر بأن يلتمس لشعره «من الكلام ما سهل، ومن القصد ما عدل، ومن المعنى ما كان واضحًا جليًا يعرف بَدِيًّا»[٤١] ويستشهد ابن رشيق على صواب رأيه بقول بعض المتقدمين: «شَرُّ الشعر ما سُئِلَ عن معناه.»[٤٢]

وضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) يعترض على تفريق أبي إسحاق الصابىء بين الشعر والترسل من ناحية الغموض والوضوح حيث استحسن الصابىء الغموضَ في الشعر، واستحسن الوضوح في الترسل، ويرى ابن الأثير أن الأحسن في الفنين على السواء هو الوضوح، وأنه لا فرق بينهما من هذه الناحية إطلاقًا.[٤٣]

---

(٣٨) الحسن بن بشر الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢-١٩٧٣م)، مج١، ص ص ٤-٥، ٥٢، ٤٢٣-٤٢٥.

(٣٩) أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، *كتاب الصناعتين*، تحقيق مفيد قميحة، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٧٥.

(٤٠) العسكري، *كتاب الصناعتين*، ص ٧٥؛ وانظر أيضًا ص ص ٨١، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٧.

(٤١) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٢م)، مج١، ص ٢٠١.

(٤٢) ابن رشيق، *العمدة*، مج١، ص ٢٠١، ومن مظاهر إلحاح ابن رشيق على أهمية الوضوح في الشعر والنثر ما ذكره في باب المبالغة حيث قال: «ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضًا الإبانة والإفصاح، وتقريب المعنى على السامع... وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها،» انظر: ابن رشيق، *العمدة*، مج٢، ص٥٣.

(٤٣) ضياء الدين بن الأثير، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط١ (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، الأجزاء ١-٣، ١٩٥٩-١٩٦٢م، والجزء الرابع، د.ت.)، مج٤، ص ص ٨-٩.

=

وفي مقابل هؤلاء النقاد الذين دعوا إلى الوضوح في الشعر والنثر وجدت طائفة أخرى من النقاد استحسنت الغموض في الشعر، والوضوح في النثر. ومن أبرز أعلام هذه الفئة أبو إسحاق الصابىء (ت ٣٨٤هـ) الذي قال في رسالة له إلى بعض إخوانه إجابة عما سأله عنه من الفرق بين المترسل والشاعر: «إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه؛ لأن أفخر الترسل هو ما وضح معناه فأعطاك غرضه في أول وهلة سماعه، وأفخر الشعر ما غمض فلم يُعطك غرضه إلا بعد مُماطلة منه وغوص منك عليه.»(٤٤)

وقد فَصَّل الصابىء في موضع آخر من رسالته ما أجمله هنا حيث قال: «للسائل أن يقول: فمن أية جهة صار الأحسن في معاني الترسل الوضوح وفي معاني الشعر الغموض؟ فالجواب أن الشعر بُنيَ على حدود مقررة، وأوزان مُقدرة، وَفُصِّل أبياتًا كل واحد منها قائم بذاته، وغير محتاج إلى غيره إلا ما يتفق أن يكون مضمنًا بأخيه وهو عيب. فلما كان النَّفَسُ لا يمكن أن يمتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل، احتيج إلى أن يكون الفَضْلُ في المعنى فاعتمدَ فيه أن يلطف ويدق ليصير المفضي إليه والمطل عليه بمنزلة الفائز بذخيرة خافية استثارها، والظافر بخبية دفينة استخرجها واستنبطها. ثم إنَّ للمتأمل وقفات على أعجاز الأبيات قد وضعت لإدراك المعنى، والفطنة بالمغزى وفي مثل ذلك يحسن خفاءُ الأثر وبعد المرمى.»(٤٥)

= وقد خفف ابن الأثير من لهجة معارضته للغموض عندما جاء ليشرح تفاصيل رأيه السابق، فقد ذكر أن مفردات الألفاظ التي يتألف منها الكلام سواء أكان شعرًا أم نثرًا ينبغي أن تكون مفهومة، ولكنها إذا تركبت لا يلزم فيها ذلك، فمن المركب ما يفهمه الخاصة والعامة، ومنه مالا يفهمه إلا الخاصة. ويضرب ابن الأثير المثل بكتاب الله الكريم فإنه أفصح كلام وقد خوطب به الناس جميعًا، ومع ذلك ففيه ما يغمض معناه. انظر: ابن الأثير، *المثل السائر*، مج ٤، ص٨.

(٤٤) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء، «رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر،» تقديم وتحقيق محمد بن عبدالرحمن الهدلق، منشورة ضمن كتاب: *قراءة جديدة لتراثنا النقدي* (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، مج ٢، ص ص ٥٩٤-٥٩٥.

(٤٥) الصابىء، «رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر،» ص ص ٥٩٥-٥٩٦.

وذكر الصابىء أن الترسل مبني على مخالفة طريق الشعر ومعاكستها؛ لأن الترسل كلام واحد «لا يتجزأ أبياتًا، ولا يتفصل إلَّا فصولاً طوالاً، وهو موضوع وَضْعَ ما يُهُذُّ هَذًّا، ويُقْرأُ متصلاً، ويمرُّ على أسماع شتى الأحوال من خاصة ورعية، وذوي أفهام ذكية وغبية، فإذا كان متسهلاً متسلسلاً ساغ فيها وَقَرُبَ إذنُه على أفهامها. . . فجميع ما يستحب في الأول يستكره في الثاني، وجميع ما يستحب في الثاني يستكره في الأول. . . فمتى خرج الشعر عن سَنَن الابتداع والاختراع فكان ساذَجا مغسولاً فقائله معيب غير مصيب، والتَّرْكُ له أدلُّ على العقل وأولى بذوي الفضل. ومتى خرج الترسل عن أن يكون جليًا سلسًا تعثرت الأسماع في حزونته، وتحيرت الأفهام في مسالكه، وأظلم مشرقه، وتكدر رونقه، وكان صاحبه مُستَكْرَه الطريقة مستهجن الصناعة.»(٤٦)

فالصابىء — وهو أحد كتاب الترسل المشهورين — يُفَرّق بين الترسل وبين الشعر تفريقًا متصلاً بالغرض الذي من أجله يُنشأ كل منهما. فالترسل يوجَّه — عادة — إلى طبقات الناس على اختلاف مشاربها، وتفاوت ذكائها وثقافتها، وبعض أنواعه يتضمن توجيهات وأوامر تقرأ على الجمهور قراءة، ويراد منهم استيعابها والامتثال لها، ولذا فإن أفضل أنواعه ما فُهم المراد منه لحظة سماعه.

أما الشعر فإنه بخلاف ذلك، لأنه فَنٌّ جمالي مقيد بقيود من بينها الوزن والقافية اللذان لا يجوز المساس بهما، كما أن البيت الواحد من الشعر مقسوم إلى شطرين متساويين في الطول، وكل بيت من الأبيات ينبغي أن يكون خاليًا من التضمين مستقلاً بمعناه عما قبله وما بعده، ولهذا فإنه ليس بإمكان الشاعر الملتزم بقواعد الشعر أن يستوفي المعنى الذي يقصده كل الاستيفاء كما هو الحال في الترسل، فيتعين على الشاعر — إذًا — أن يضغط معانيه، وأن يضمنها أنواعًا من الإشارات، والإيماءات التي يتحدى بها القارىء والسامع حتى يُعْمِلَ فكره من أجل الوصول إلى معناها، والمراد منها، بحيث يكون إحساسه بعد إدراك ذلك المعنى مُشبعًا لإحساس «الفائز بذخيرة خافية استثارها، والظافر بخبية دفينة

---

(٤٦) الصابىء، «رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر،» ص ٥٩٦.

استخرجها واستنبطها . »[٤٧] ويُلحُّ الصابىء على أهمية الابتداع والاختراع في الشعر، لأن الشعر إذا كان ساذَجا مغسولاً فإنه ليس بشعر على الحقيقة وتركه أولى من الإتيان به .

وبمقارنة ما ذكره الصابىء عن الشعر بما قاله بعد ذلك عن الترسل من أنه «يُهَذَّ هَذًّا، ويُقرأ متصلاً، ويمر على أسماع شتى الأحوال من خاصة ورعية، وذوي أفهام ذكية وغبية، »[٤٨] يتضح أن الصابىء يرى أنه ليس من طبيعة الشعر أن يُهَذَّ هَذًّا بل أن يتأمل، ويعاد فيه النظر بعد النظر حتى يتمكَّن من إدراك معانيه، وما يتضمنه من إشارات، وإيحاءات، ولهذا كان الغموض فيه مستحبًا . ويفهم من كلام الصابىء أيضًا أنه يرى أن بعض الشعر يرتفع عن مستوى إدراك العامة؛ لأنه يحتاج إلى ثقافة عالية تُساعد على الإحاطة بمراميه، وهذه الثقافة لا تتوافر — في الغالب — إلا للخاصة .

ولا نجد في دراسة حازم أية إشارة إلى آراء أبي إسحاق الصابىء التي تضمنتها رسالته مع أن ابن سنان الخفاجي — الذي تأثر به حازم كثيرًا — قد اطلع على تلك الرسالة، واقتبس منها بعض الفقرات .[٤٩] بل إن ابن سنان الخفاجي قد صرح بأن آراء أبي إسحاق الصابىء التي مرت بنا كانت الدافع الرئيس الذي دفعه إلى بحث قضية الغموض والوضوح .[٥٠]

ونتيجة لوقوع حازم تحت تأثير ابن سنان الخفاجي، وميله الشديد إلى الوضوح، نرى حازما يتسامح عن بعض العيوب التي تلحق بعض الأشعار ما دام وجود تلك العيوب سيساعد على إزالة الغموض، فالتضمين عيب في الشعر، كما أشار إلى ذلك الصابىء، وكما أشار إليه غيره من النقاد،[٥١] ولكن حازما يتسامح عن ذلك العيب فينصح الشاعر الذي لم

(٤٧) الصابىء، «رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر،» ص ٥٩٦ .
(٤٨) الصابىء، «رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر،» ص ٥٩٦ .
(٤٩) انظر: الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٢ .
(٥٠) الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ٢١٢ .
(٥١) انظر: الصابىء، «رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر،» ص ٥٩٦؛ وانظر أيضًا: ابن رشيق، =

يستطع أن يكمل المعنى في بيت واحد أن يكمله في بيت ونصف، أو في بيتين كاملين.(٥٢)

وإذا كان حازم لم يَطَّلع على رسالة الصابىء كاملة، ولم يتأثر بها، فإنه لم يتأثر أيضا بأقوال أبي علي المرزوقي (ت ٤٢١هـ) الذي اقتبس فقرات كثيرة من رسالة الصابىء بنصها، أو بمعناها، وضَمَّنَها مقدمته لشرح *ديوان الحماسة* دون أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه مادته.

يقول المرزوقي:

إن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج، سهل المعنى، متسع الباع، واسع النطاق، تدل لوائحه على حقائقه، وظواهره على بواطنه إذ كان مورده على أسماع مفترقة: من خاصي وعامي، وأفهام مختلفة: من ذكي وغبي. فمتى كان مُتسهلاً متساويًا ومتسلسلاً متجاوبًا تساوت الآذان في تلقيه، والأفهام في درايته، والألسن في روايته، فيسمحُ شارده إذا استدعي، ويتعجل وافده إذا استدني... ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك، لأنه مبني على أوزان مقدرة، وحدود مقسمة، وقوافٍ يُسَاق ما قبلها إليها مهيأة، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره إلا ما يكون مضمنًا بأخيه وهو عيب فيه. فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه، وكلاهما قليل، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتًا بيتًا، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى، وأن يبلغ الشاعر في تلطيفه، والأخذ من حواشيه، حتى يتسع اللفظ له فيؤديه على غموضه وخفائه — حدًا يصير المدرِكُ له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها، والظافر بدفينة استخرجها، وفي مثل ذلك يحسن امِّحَاء الأثر، وتباطؤ المطلوب على المنتظر. فكل ما يُحْمَد في الترسل ويختار، يذم في الشعر ويرفض.(٥٣)

= *العمدة*، مج١، ص ص ١٧١-١٧٢؛ الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ص ١٧٨-١٧٩؛ محمد بن عمران المرزباني، *الموشح*، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٥م)، ص ص ٢٣، ٤٣، ٤٠٤-٤٠٥.

(٥٢) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٨.

(٥٣) أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي، شرح *ديوان الحماسة*، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، مج١، ص ص ١٨-١٩.

فالمرزوقي — كما رأينا — يَنُصُّ على أن من طبيعة الترسل أن يكون واضح المعنى، سهل الإدراك. وأمَّا الشعر فإنه بعكس ذلك، فما يمدح في الترسل يذم في الشعر ويرفض. فالوضوح، إذًا مذموم في الشعر ومرفوض، هكذا يرى المرزوقي.

ومن النقاد الذين تحدثوا عن قضية الغموض في الشعر، ولا نجد لآرائهم أثرًا في دراسة حازم القرطاجني، الإمام عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ). فقد تحدث عبدالقاهر عن الغموض وفَرَّقَ بينه وبين التعقيد، وقرر أن الغموض يُكْسِبُ المعنى جمالاً بينما يُكسبه التعقيدُ قبحًا، وهو يعني بالغموض أن يكون الكلام سائرًا على النسق الذي تتطلبه شروط الفصاحة والبلاغة ولكن معناه مع ذلك لا ينكشف إلا بمزيد من التأمل، وتكرار النظر. وانكشاف المعنى بعد ذلك الجهد يجعل له محلاً في النفس وقبولاً من جانبها يفوقان ما تُحِسُّ به عندما تصادف المعنى الواضح الغُفْل.

يقول عبدالقاهر: «ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجَلَّ وألطف، وكانت به أضَنّ وأشغف.»(٥٤)

ولم يغب عن ذهن عبدالقاهر أن متسائلاً قد يقول: إن الكلام المشتمل على التعقيد، والتعمية لا يدرك معناه إلا بصعوبة فهل يُعَدُّ ذلك الكلام حسنًا؟ يجيب عبدالقاهر: «فإن قلتَ فيجب على هذا أن يكون التعقيد، والتعمية، وتعمدُّ ما يكسب المعنى غموضًا مشرفًا له وزائدًا في فضله، وهذا خلاف ما عليه الناس ألا تراهم قالوا: إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك — فالجواب أني لم أُرِد هذا الحد من الفكر والتعب.»(٥٥)

---

(٥٤) عبدالقاهر الجرجاني، *كتاب أسرار البلاغة*، تحقيق هـ. ريتر (اسطنبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤م)، ص ١٢٦.

(٥٥) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص ١٢٧. والتعقيد هو «أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، وله سببان: أحدهما: ما يرجع إلى اللفظ، وهو أن يختل نظم الكلام، ولا يدري السامع كيف =

وقد أورد عبدالقاهر أبياتًا من الشعر تضمنت معاني فيها شيء من الغموض مع أن مفرداتها، وتركيبها خاليان من العيوب التي تعيب الكلام، ثم أتبع تلك الأبيات بقوله: فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه، ثم ما كُلُّ فكر يهتدى إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يُؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة. . . وأما التعقيد فإنما كان مذمومًا لأجل أن اللفظ لم يُرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى إليه من غير الطريق. . . وإنما ذُمَّ هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله، وكدَّكَ بسوء الدلالة، وأودع المعنى لك في قالب غير مُستوٍ ولا مُمَلَّس، بل خشن مضرس حتى إذا رُمْتَ إخراجه منه عسر عليك، وإذا خَرَجَ خَرَجَ مُشَوَّه الصورة ناقص الحُسن. هذا وإنما يزيدك الطلب فرحا بالمعنى وَأُنْسًا به، وسرورًا بالوقوف عليه إذا كان لذلك أهلاً. فأما إن كنت معه كالغائص في البحر يحتملُ المشقة العظيمة، ويخاطر بالروح ثم يُخْرِجُ الخرز فالأمر بالضد مما بدأت به. ولذلك كان أحق أصناف التعقد بالذم ما يتعبك ثم لا يجدي عليك، ويؤرقك ثم لا يورق لك. (٥٦)

واستطرد عبدالقاهر في معرض دفاعه عن الغموض المستحسن إلى تفسير مقولة قد يُفهم منها تفضيل الكلام الواضح على الكلام الغامض وهي قولهم: «إن خير الكلام ما

= يتوصل إلى معناه. . . والثاني: ما يرجع إلى المعنى، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني — الذي هو لازمه والمراد به — ظاهرًا.» انظر: محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالأزهر (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.)، مج ١، ص ص ٥-٦.

أما التعمية وتسمى أيضًا الإلغاز والمحاجاة فهي: «أن يريد المتكلم شيئًا فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه.» انظر: زكي الدين عبدالعظيم ابن أبي الإصبع المصري، *تحرير التحبير*، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ)، ص ٥٧٩.

(٥٦) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص ص ١٢٨-١٣٠.

كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك، »[٥٧] فذكر أنهم إنما أرادوا بقولهم ذلك «أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ، وتهذيبه، وصيانته من كل ما أَخَلَّ بالدلالة، وعاق دون الإبانة، ولم يريدوا أن خير الكلام ما كان غُفْلاً مثل ما يتراجعه الصبيان ويتكلم به العامة في السُّوق. »[٥٨]

ثم أشار عبدالقاهر إلى أن الكلام المتضمن للمعاني اللطيفة، وإن كان واضح العبارة سالمًا من عيوب التأليف، فإنه محتاج إلى جهد كبير في سبيل استكشاف معناه؛ «لأن المعاني الشريفة اللطيفة لا بُدّ فيها من بناء ثان على أول، ورد تالٍ إلى سابق، »[٥٩] ولا يعيب الكلامَ الغامضَ ذا المعنى الجيد كونُه محتاجًا إلى ذلك الجهد في استخراج معناه، بل إن ذلك ميزة من ميزاته. وفي المقابل فإن الكلام المعقد لم يُعَب من أجل أنه يحتاج إلى تأمل وتدبِّر بل لأن صاحبه «يعثر فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويُوعر مذهبك نحوه، بل ربما قَسَّم فكرك، وشَعَّب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب. »[٦٠]

يتضح من هذا الذي أوردناه من كلام عبدالقاهر الجرجاني أنه لا يَعُدُّ الغموض عيبًا في الكلام بل يرى أنه مظهر من مظاهر سموه، ولكن عبدالقاهر لا يعني بالغموض ذلك الذي ينشأ عن سوء اختيار الألفاظ، أو عن خلل في تأليف العبارة، وإنما يعني به شيئًا آخر يتصف به الكلام الذي توافرت له شروط الفصاحة والبلاغة.

وبالإضافة إلى الصابىء والمرزوقي، وعبدالقاهر الجرجاني فإن ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) قد دافع كذلك عن الغموض في الشعر، وكشف عن الأسباب التي من أجلها - يحسن فيه، وذلك في معرض دفاعه عن آراء أبي إسحاق الصابىء أمام هجوم ابن الأثير

---

(٥٧) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص ص ١٢٧؛ وانظر أيضًا: عبدالقاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٢٦٧.

(٥٨) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص ١٣٢.

(٥٩) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص ١٣٣.

(٦٠) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص ١٣٥.

عليها. يقول ابن أبي الحديد: «إن البيت الشعري لما كان محجورًا على الشاعر أن يزيد فيه أو ينقص منه، أو يلحق به بيتًا آخر فيحصل أحدهما مرتبطًا بصاحبه، بخلاف الرسائل، فكان المعنى قد يساوي ألفاظَ البيت تارة، ويزيد عليها تارة، وينقص عنها أخرى، فكان الأحسن أن يزيد المعنى؛ لأنه اللفظ الحسن بغير معنى كامرأة ميتة حسنة الصورة، وكلما كانت معاني الكلام أكثر، ومدلولات ألفاظه أتم كان أحسن. ولهذا قيل: خير الكلام ما قَلَّ ودَلَّ، فإذًا كان أصل الحسن معلولاً لأصل الدلالة. وحينئذ يتم إشباع الجملة، لأن المعاني إذا كثرت، وكانت الألفاظ تفي بالتعبير عنها احتيج بالضرورة إلى أن يكون الشعر يتضمن ضروبًا من الإشارة، وأنواعًا من الإيماءات، والتنبيهات فكان فيه غموض.»[٦١]

وقد أوضح ابن أبي الحديد أنه لا يرضى عن الغموض المُسْتَغْلِق، وإنما يرضى عن الغموض الذي يُمكن إدراك معناه بالتأمل وإعادة النظر يقول: «ولسنا نعني بالغموض أن يكون كأشكال إقليدس، والمجسطي، والكلام في الجزء، بل أن يكون بحيث إذا ورد على الأذهان بلغت منه معاني غير مبتذلة، وحِكَما غير مطروقة.»[٦٢]

هذه هي أهم آراء النقاد الذين أيَّدُوا الغموض في الشعر، ممن عاشوا قبل حازم أو عاصروه، ولا ندري — بشكل قاطع — هل اطلع حازم على تلك الآراء أم لم يطلع عليها، ولكن يغلب على الظن أنه لم يطلع على تلك الآراء؛ لأنه لو كان قد اطلع عليها فإن من المرجَّح أن يُعَلّق عليها، ويبدي فيها رأيه. وقد يجد المعتذر لحازم بعض العذر له في عدم اطلاعه على «تفاصيل» رأى الصابىء،[٦٣] لأن الصابىء لم يشتهر بالنقد، ولأن الرسالة التي

---

(٦١) عز الدين عبدالحميد بن أبي الحديد، *الفلك الدائر على المثل السائر*، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشور مع الجزء الرابع من كتاب *المثل السائر* لابن الأثير (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ت.)، ص ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٦٢) ابن أبي الحديد، *الفلك الدائر*، ص ٣٠٥.

(٦٣) يبدو لنا أن حازما لم يطلع على «تفاصيل» رأي أبي إسحاق الصابىء. أما «مُجمل» رأيه فإن حازما قد اطلع عليه من خلال اطلاعه على آراء ابن سنان الخفاجي التي رَدَّ فيها على أبي إسحاق الصابىء.

تضمنت رأيه في مسألة الغموض والوضوح كانت ضمن ديوان رسائله الذي يحتوي على كَمٍّ كبير من الرسائل الديوانية والإخوانية مما يصعب معه التنبه إليها. كما أن المعتذر لحازم قد يجد له بعض العذر في عدم اطلاعه على آراء معاصره ابن أبي الحديد بسبب بُعْدِ المسافة بينهما فقد كان حازم يعيش في غرب الدولة الإسلامية وابن أبي الحديد في شرقها. ولكن حازما لا يعذر في عدم اطلاعه على أقوال أبي علي المرزوقي، التي رَدَّدَ فيها ما أورده الصابىء في رسالته، كما أنه لا يعذر في عدم اطلاعه على آراء عبدالقاهر الجرجاني التي كان لها صدى واسع في معظم الدراسات البلاغية والنقدية التي جاءت بعده.

هذا ويلمس دارس كتاب *منهاج البلغاء* أن حازما كان متأثرًا، فيما يخص قضايا الشعر، بآراء الفلاسفة، وبآراء النقاد المتأثرين بالفلاسفة، أكثر من تأثره بغيرهم من النقاد، فهو قد أحال كثيرًا على آراء أفلاطون،(٦٤) وأرسطو،(٦٥) والفارابي،(٦٦) وابن سينا،(٦٧) وقدامة بن جعفر،(٦٨) وابن سنان الخفاجي.(٦٩) وقد أحال إحالات قليلة على آراء الجاحظ،(٧٠) والآمدي.(٧١) أما من عدا هؤلاء النقاد فليس لهم ذكر في كتابه.

وإذا عدنا إلى أسباب الغموض التي أوردها حازم والتي ذكرناها في أول هذا البحث وجدنا فيها خلطًا بين أسباب تؤدي إلى الغموض المحمود الذي أشاد به مؤيدو الغموض،

---

(٦٤) انظر: القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١١٩.
(٦٥) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ٦٨، ٦٩.
(٦٦) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ٨٦، ١٢٣.
(٦٧) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩٢، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٦٦.
(٦٨) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ٥٣، ٤٨، ٥٢، ٨٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨.
(٦٩) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ٥٣ ، ١٣٨-١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٦٨، ١٨٢، ١٨٣.
(٧٠) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ص ٧٤، ١٣٨، ١٩٢.
(٧١) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٦٨.

وأسباب تؤدي إلى التعقيد، أو الإبهام،[٧٢] أو ضعف التأليف، أو المعاظلة،[٧٣] وكلها مما اتفق النقاد جميعًا على عيبه وحذروا من الوقوع فيه.

فمما ذكره حازم مما يخص الغموض المحمود في نظر من يرتضي الغموض «أن يكون المعنى في نفسه دقيقًا، ويكون الغورُ فيه بعيدًا»[٧٤] فهذا مما لاشك في أنه يحتاج إلى جهد في استخراج معناه، والوصول إلى المراد منه.

كما أن من بين تلك الأسباب أن يكون المعنى «مُضَمنًا معنى علميًّا، أو خبرًا تاريخيًّا، أو مُحَالًا به على ذلك ومشارًا به إليه»[٧٥] وهذا السبب من أهم أسباب الغموض في الشعر. وقد نَبَّه بعض دارسي الغموض في الشعر الحديث على أهميته؛ لأن فهم الإحالة على الأسطورة، أو الحدث التاريخي يتطلب مستوى عاليًا من الثقافة لدى متلقي الشعر، وكلما اتسعت المسافة الثقافية الفاصلة بين الشاعر ومتلقى شعره صعب فهم الشعر على المتلقي.[٧٦]

ومن بين أسباب الغموض التي أوردها حازم أن «يكون المعنى قد قُصِدَ به الدلالة على بعض ما يلتزمه من المعاني، ويكون منه بسبب على جهة الارداف، أو الكناية عنه، أو التلويح به إليه.»[٧٧] وهذا واحد من الأسباب التي تورث الغموض المحمود؛ لأن الإحاطة

---

(٧٢) نقصد الإبهام بمعناه اللغوي لا البلاغي.

(٧٣) المعاظلة هي «مداخلة الكلام بعضه في بعض، وركوب بعضه لبعض» مأخوذة من تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى. انظر: الحسن بن بشر الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تحقيق السيد أحمد صقر، الجزء الأول، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص ٢٩٣؛ ابن الأثير، *المثل السائر*، مج١، ص ص ٣٩٦-٣٩٨.

(٧٤) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٢.

(٧٥) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٣.

(٧٦) إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر*، ص ص ٢١٤-٢١٧؛ سليمان، *أنماط من الغموض*، ص ص ٣٣-٣٥، ٤٠، ٤٣-٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٥؛ عياد، *الأدب في عالم متغير*، ص ص ٨٠-٨٢.

(٧٧) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٣.

بمرامي بعض أنواع الكناية، وما تفرع عنها من إرداف، وتلويح، ورمز، وما أشبه ذلك[٧٨] يتطلب ثقافة واسعة، وإحاطة كبيرة بأساليب العرب، وطرق تعبيرهم. فإذا لم يكن متلقي النص متمرسًا بتلك الاستعمالات أحسَّ بغرابة النص عليه، ومن ثم تعسر عليه إدراك معناه، وإذا ما شرحت له تلك الأساليب تبين له حسنها وسمو معناها.

ومن الأسباب التي أوردها حازم أن «يكون المعنى قد وُضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما يجب فتنكره الأفهام لذلك، فقد لا تفهمه على وجهه، وقد لا تهدى إلى فهمه بالجملة.»[٧٩]

وهذا النوع يعد من أهم أسباب الغموض في القصيدة الحديثة، وهو ينشأ من كسر الشاعر لعنصر التوقع في الكلام وذلك عن طريق تحميل الكلمات معاني غير مألوفة، وإعادة ترتيب علاقات الألفاظ بعضها مع بعض، مما يساعد على خلق صور جديدة تخالف ما اعتاده السامع. ولعل هذا نابع من طبيعة العمل الشعري، حيث إن الشاعر لا يتقيد كثيرًا بالقيود والمعايير التي يفرضها العقل، كما أنه لا يقدم في بعض الأحيان تفسيرات منطقية للأشياء بل يطلق العنان لخياله ليخترع معاني جديدة، ويقيم علاقات جديدة بين الألفاظ والصور فينشأ عن ذلك أن يحسَّ الإنسان المنطقي التفكير بغموض ذلك الشعر عليه، وذلك بسبب جهله بالسياق الذي يتحرك الشاعر خلاله.[٨٠]

ومن الأسباب التي ذكر حازم أنها تؤدي إلى الغموض أن «يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مَظَنة لانصراف الخواطر في فهمه إلى أنحاء من الاحتمالات.»[٨١] وهذا السبب، بلا

---

(٧٨) ابن الأثير، *المثل السائر*، مج٣، ص ص ٤٩-٥٠، ٥٦-٦١، ٧٢.

(٧٩) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٣.

(٨٠) ميساء زهدي الخواجا، «مفهوم الغموض في النقد العربي القديم،» بحث غير منشور، ص ص ٤٩-٥٠؛ إسماعيل، *الشعر العربي المعاصر*، ص ص ١٩٠-١٩٢؛ أدونيس، *زمن الشعر*، ص ص ٢٨٢-٢٨٣؛ سليمان، *أنماط من الغموض*، ص ص ٦٠-٦٢، ٧٦-٧٧، ٨٠.

(٨١) القرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٧٣.

ريب، من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الغموض؛ لأن الصفة التي يُقَوَّم بها النص الغامض هي قابليته لعدد من القراءات والتفسيرات بطريقة تبرهن على أدبية النص من جهة، وتكشف عن خصوصية الغموض التي بداخله من جهة أخرى.(٨٢)

ومع أن حازما قد استطاع أن يضع أيدينا على عدد غير قليل من أسباب الغموض المهمة فإنه يرى أن الغموض الناشىء عنها غموض غير مستحسن وينبغي على مؤلف الكلام أن يُنَقِي كلامه منه.

أما بقية الأسباب التي تحدث عنها حازم فإنها لا تمت إلى الغموض الحقيقي بصلة وإنما هي عيوب في الكلام ناشئة عن سوء التأليف، ورداءة التعبير، وقد أحسن حازم في التنفير منها.

وإذا كان حازم قد نَفَّرَ من عدم الوضوح بشتى صوره، سواء أكان ناتجًا عن غموض محمود، أم كان بسبب التعقيد، أو الإبهام، أو سوء اختيار الألفاظ، أو غير ذلك فإنه لم يكن الوحيد الذي رأى ذلك الرأي، ولكن يلاحظ أن حازما وإن كان — كما رجحنا لم يطلع على آراء عدد من دارسي هذا الموضوع قبله — قد استطاع بما أُوتي من قدرات عقلية، وحِدَّة في الذهن، أن يُفَصِّل الكلام في موضوع الغموض تفصيلاً لا نجده عند غيره من النقاد، بحيث غدت دراسته لهذا الموضوع أوسع الدراسات عنه في نقدنا القديم.

---

(٨٢) الطرابلسي، *بحوث في النص الأدبي*، ص ص ١٧٢-١٧٣؛ الخواجا، «مفهوم الغموض،» ص ٥٠.

Hazim al-Qartajanni's View on Ambiguity in Arabic Poetry Compared with Views of Earlier Critics

Mohammad A. Al-Hadlaq
Associate Professor, Department of Arabic, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. Critics of Arabic language poetics directed their studies and research to ambiguity in Arabic poetry very early in history. Critics held contrasting views towards use of ambiguity in poetry. One view cautioned against its use in poetry, and recommended ambiguity should be avoided. Another view considers ambiguity one of the merits of poetry.

Hazmi al-Qartajanni, was one of the critics who studied the use of ambiguity in poetry in depth and he devoted a chapter in his book *Minhaj al-Bulagha 'wa Siraj al-Udaba.'* to it. He cited that ambiguity in poetry is caused either because of semantics, or because of phraseology or because of both semantics and phrasology.

Hazim al-Qartajanni is one of the critics who do not recommend the use of ambiguity except on rare occasions. He pursues in his studies ways to avoid and clarify manners of speech.

This study is an attempt to point out Hazim al-Qartajanni's views on the use of ambiguity in poetry. On the one hand, this researcher compared al-Qartajanni's views with earlier critics in a bid to explain al-Qartajanni's understanding of the essence of the feature on the other hand, and to show the extent of al-Qartajanni's use of earlier critics.